للموت، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الحياة مستعتب [١]، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة والنار» .

ومن شواهد المطابقة الحقيقية شعرًا قول الحماسي :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقول آخر:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

٢ - والضرب الذي يأتي بألفاظ المجاز يسميه قدامة بن جعفر «التكافؤ» ومنه قول الشاعر :

حلو الشمائل وهو مر باسل يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

فقوله «حلو ومر» يجري مجرى الاستعارة، إذ ليس في الإنسان ولا في شمائله ما يذاق بحاسة الذوق .

ومنه أيضًا قول الشاعر:

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة هي بين «اليقظان والنائم»، ونسبتهما إلى التراب على سبيل المجاز وهذا هو «التكافؤ» عند قدامة وابن أبي الأصبع . أما المطابقة عند قدامة ومن اتبعه فهي اجتماع المعنيين المختلفين في لفظة واحدة مكررة، كقول زياد الأعجم :

ونَبِئتهم يستنصرون بكاهل وللؤم فيهم كاهل وسنام

فاللفظة المكررة هنا هي «كاهل» ومعناها في الشطر الأول من البيت «مَن يُعتَمد عليه في الملمات، يقال: فلان كاهل بني فلان أي معتمدهم في الملمات وسندهم في المهمات» . وهي في الشطر الثاني : مُقَدَّمُ أعلى الظهر مما يلي العنق .

أنواع المطابقة:

والمطابقة ثلاثة أنواع :

مطابقة الإيجاب .

مطابقة السلب .

وإيهام التضاد .

---

(١) استرضاء؛ لأن الأعمال بطلت وانقضى زمانها وقيل: رجوع عن الخطأ والذنب وطلب للرضا .

١- **فمطابقة الإيجاب:** هي ما صُرّح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا.

ومن أمثلتها بالإضافة إلى الأمثلة السابقة للمطابقة التي تأتي بلفظ الحقيقة قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقوله أيضًا: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

ومنه من أحاديث الرسول: **«أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمن شتمك»** وقال: **«أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة»**.

ومنه شعرًا قول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معًا كجلمود صخر حطه السيل من علِ

وقول مسافع:

أبعد بني أمي أسرّ بمقبل من العيش أو آسى على أثر مدبر؟
أولاك بنو خير وشر كليهما وأبناء معروف ألمَّ ومنكر

ومنه من الأقوال المأثورة: «غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله» و«كدر الجماعة خير من صفو الفرقة».

٢- **ومطابقة السلب:** وهي ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجابًا وسلبًا نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فالمطابقة هنا هي في الجمع بين **«يعلمون ولا يعلمون»** وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه لأنهما ضدان ومن مطابقة السلب أيضًا قول امرئ القيس:

جزعت ولم أجزع من البين مجزعًا وعزّيت قلبي بالكواعب مولعا

فالمطابقة هي في الجمع بين **«جزعت ولم أجزع»** وهي حاصلة بإيجاب الجزع ونفيه.

ومن المستحسن في ذلك قول بعضهم:

خُلِقوا وما خُلِقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رُزقوا وما رُزقوا سماح يدٍ فكأنهم رزقوا وما رزقوا

٣- **إيهام التضاد:** وهو أن يوهم لفظ الضد أنه ضد مع أنه ليس بضد كقول الشاعر:

يبدي وشاحًا أبيضًا من سيبه والجو قد لبس الوشاح الأغبرا

فإن «**الأغبر**» ليس بضد «**الأبيض**» وإنما يوهم بلفظه أنه ضده. ومثله قول دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلْم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فإن «**الضحك**» هنا من جهة المعنى ليس بضد «**البكاء**» لأنه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة.

ومنه قول قريط بن انيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

«**فالظلم**» ليس بضد «**المغفرة**» وإنما يوهم بلفظه أنه ضد.

وقول شاعر آخر:

وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتما يضر ولا مديحًا ينفع

فضد المديح هو الهجاء وليس الشتم وإن كان قريبًا من معناه ولهذا فاستعماله ضدًّا للمديح هو من قبيل إيهام التضاد.

ظهور التضاد وخفاؤه:

والتضاد بين المعنيين قد يكون ظاهرًا كما في الأمثلة السابقة، وقد يكون خفيًّا كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥][1] فإدخال النار ليس ضد الإغراق في المعنى، ولكنه يستلزم ما يقابله وهو الإحراق، فإن من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق.

ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فالمطابقة هنا هي في الجمع بين «**أشداء ورحماء**» فلفظة «**رحماء**» ليست ضدًّا في المعنى «**لأشداء**» ولكن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة، لأن من رحم لان قلبه ورق. ومن هذه الناحية الخفية صحت المطابقة.

ومنه شعرًا قول الحماسي:

لهم جلّ مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لا أكلفهم رفدا [2]

---

(١) **مما خطيئاهم**: من أجل خطاياهم وبسببها.

(٢) **الرفد**: العطاء.

ففي قوله «تتابع لي غنى» معنى الكثرة التي هي ضد القلة. أما قول أبي الطيب المتنبي:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مجرم؟

فهو من المطابقة الفاسدة، لأن المجرم ليس بضد في المعنى للمحب بوجه ما، وليس للمحب ضد إلا المبغض.

بلاغة المطابقة:

وبلاغة المطابقة لا يكفي فيها الإتيان بمجرد لفظين متضادين أو متقابلين في المعنى، كقول الشاعر:

ولقد نزلت من الملوك بماجد فقر الرجال إليه مفتاح الغنى

فمثل هذه المطابقة لا طائل من ورائها لأن مطابقة الضد بالضد على هذا النحو أمر سهل. وإنما جمال المطابقة في مثل هذه الحالة أن ترشح بنوع من أنواع البديع يشاركها في البهجة والرونق، كقوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران :٢٧] ففي العطف بقوله تعالى: ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده. وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الله. فهنا اجتمعت المطابقة الحقيقية ومبالغة التكميل. ومثله قول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معًا كجلمود صخر حطه السيل من علِ

فالمطابقة في الإقبال والإدبار، ولكنه لما قال «معًا» زادها تكميلاً، فإن المراد بها قرب الحركة وسرعتها في حالتي الإقبال والإدبار، وحالة الكر والفر. فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الوقع الحسن في النفس.

ثم إنه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل إلى التشبيه على سبيل الاستطراد [١] البديعي، وبهذا اشتمل بيت امرئ القيس على «المطابقة والتكميل والاستطراد».

---

(١) الاستطراد البديعي أن يكون الشاعر في غرض من أغراض الشعر فيوهم أنه مستمر فيه ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما؛ على أن يكون المستطرد به آخر الكلام.

وممن كسا المطابقة ديباجة التورية أبو الطيب المتنبي حيث قال:

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسيّ وأنت يماني (١)

فالمطابقة هنا هي في الجمع بين «**قيسي ويماني**» وقيسي منسوب إلى قيس من عدنان ويماني منسوب إلى اليمن من قحطان وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف، ومن هنا أتى التضاد بين «**قيسي ويماني**»، والتورية في لفظة «**يماني**» لأن الشاعر يعني أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لأن شبيبًا كان قيسيًّا والسيف يقال له: «**يماني**» فورّي به عن الرجل المنسوب إلى اليمن.

وقد أكثر الشعراء من استخدام المطابقة المجردة والارتفاع بجمالها وبلاغتها بما يضمونه إليها أو يكملونها أو يكسونها به من فنون البديع والبيان كالجناس واللف والنشر والتورية والتشبيه والاستعارة والتضمين.

المقابلة

يعد قدامة بن جعفر من أوائل من تكلموا عن «**المقابلة**» فقد ذكرها في معرض الحديث عن بعض الخصائص الأسلوبية التي تعلى من قيمة الشعر قال قدامة: «**والذي يسمى به الشعر فائقا، ويكون إذا اجتمع فيه مستحسنًا صحة المقابلة، وحسن النظم، وجزالة اللفظ، واعتدال الوزن وإصابة التشبيه، وجودة التفصيل، وقلة التكلف، والمشاكلة في المطابقة وأضداد هذا كله معيبة تُمجّها الآذان، وتخرج عن وصف البيان**» (٢).

وقد عرفها في كتابه «**نقد الشعر**» بقوله: وصحة المقابلة أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق أو المخالفة بين بعضها وبعض، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف على الصحة، أو يشترط شروطًا أو يعد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بضد ذلك (٣) ومن أمثلته على ذلك قول

---

(١) هو شبيب الخارجي؛ خرج على كافور وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها. كان من قيس وبين قيس واليمن عداوات وحروب قديمة؛ والسيف الجيد ينسب إلى اليمن فيقال له «**يمانى**»؛ ومراد المتنبي هنا أن شبيبًا لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يمانى وصاحبك قيسى ولهذا جانبه السيف وفارقه. انظر المثل السائر ص ٢٥٨.

(٢) كتاب نقد لقدامة ص ٨٤. (٣) نقد الشعر ص ٩٥.

الشاعر:

أموت إذا ما صد عني بوجهه ويفرح قلبي حين يرجع للوصل

وقد علّق قدامة على البيت بقوله: «فجعل ضد الموت فرح القلب وضد الصد بوجهه الوصل، وهذه مقابلة قبيحة، ولو قال:

أموت إذا صدّ عني بوجهه وأحيا إذا مل الصدود وأقبلا

فجعل جزاء الموت الحياة وجزاء الصد بالوجه الإقبال لكان مصيبًا» (١)

وجاء أبو هلال العسكري بعد قدامة فعرف المقابلة بقوله: «هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]، فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته» (٢).

وعرّف ابن رشيق القيرواني المقابلة بقوله: «هي ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا وآخره ما يليق به آخرًا، ويؤتى في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة، مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء، وهو:

فيا عجبًا كيف اتفقنا فناصح وفي ومطويّ على الغلّ غادر

فقابل بين النصح والوفاء بالغل والغدر، هكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة» (٣)

كذلك عرف الخطيب القزويني المقابلة في كتابه التلخيص بقوله: «هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب» (٤).

وهو يعني بالتوافق خلاف التقابل، نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

ومن التعاريف السابقة يمكن القول بأن المقابلة هي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب.

والبلاغيون مختلفون في أمر المقابلة فمنهم من يجعلها نوعًا من المطابقة ويدخلها في إيهام التضاد ومنهم من جعلها نوعًا مستقلًا من أنواع البديع، وهذا هو الأصح، لأن

---

(١) نقد النثر ص ٨٥.
(٢) كتاب الصناعتين ص ٣٣٧.
(٣) كتاب العمدة ج٢ ص ١٤.
(٤) كتاب التلخيص ص ٣٥٢.

المقابلة أعم من المطابقة.

وصحة المقابلات تتمثل في توخي المتكلم بين الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، لا يخرم من ذلك شيئًا في المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة.

الفرق بين المطابقة والمقابلة:

والفرق بين المطابقة والمقابلة يأتي من وجهين: أحدهما أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين، أما المقابلة فتكون غالبًا بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه. وقد تصل المقابلة إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر وخمسة في العجز. والثاني: أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، على حين تكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة وأعظم موقعًا نحو قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص :٧٣].

فانظر إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدان، ثم قابلهما بضدين: هما السكون والحركة على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ مرادف فاكتسب الكلام بذلك ضربًا من المحاسن زائدًا عن المقابلة، ذلك أنه عدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل، لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة.

ومن أمثلة هذا النوع أيضًا قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس :٣١]. فقد أتى في كل صدر الكلام وعجزه بضدين، ثم قابل الضدين في صدر الكلام بضدين لهما في العجز على الترتيب.

أنواع المقابلة:

والمقابلة تأتي على أربعة أنواع على النحو التالي:

١- **مقابلة اثنين باثنين:** نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة :٨٢]، ونحو قوله عليه السلام: «**إن لله عبادًا جعلهم مفاتيح الخير مغاليق الشر**»، وقوله أيضًا للأنصار: «**إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع**» وكقول رجل يصف آخر: «**ليس له**

صديق في السر ولا عدو في العلانية».

ومن مقابلة اثنين باثنين في الشعر قول النابغة الجعدي:

فتي كان فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وقول المعري:

يا دهر يا منجز إيعاده ومخلف المأمول من وعده

ومن مليح هذه المقابلة وخفيها قول العباس بن الأحنف:

اليوم مثل الحول حتى أرى وجهك والساعة كالشهر

فقد قابل اليوم بالساعة، والحول بالشهر، لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر جزءًا.

٢- **مقابلة ثلاثة بثلاثة:** نحو قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف :١٥٧] وقول علي بن أبي طالب لعثمان بن عفان: «إن الحق ثقيل وبيّ، والباطل خفيف مريّ».

ومن أمثلتها شعرًا قول أبي دلامة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

٣- **مقابلة اربعة باربعة:** نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل :٥-١٠]. وقوله ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ مقابل لقوله: ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ لأن معناه زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة، وذلك يتضمن عدم التقوى.

ومن مقابلة أربعة بأربعة أيضًا قول أبي بكر الصديق في وصيته عند الموت: «هذا ما أوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها» فقابل: أولاً بآخر، والدنيا بالآخرة، وخارجًا بداخل، ومنها بفيها ومنه شعرًا قول أبي تمام:

يا أمة كان قبح الجوز يسخطها دهرًا فأصبح حسن العدل يرضيها

وقول جرير:

وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشماله

وقول ابن حجة الحموي:

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحًا ولوا غضابًا فواجربي لغيظهمو

فالمقابلة هنا بين «قابلهم وولوا» و«الرضى والغضب» و«السلم والحرب» و«الانشراح والغيظ».

٤- **ومن مقابلة خمسة بخمسة:** قول الشاعر:

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

فالمقابلة هنا بين «واطئ وطائر» لأن الواطئ هو الماشي على الأرض، والطائر هو السائر في الفضاء وبين «فوق وتحت» و«خد وذيل» لما بينهما من معنى العلو والسفل، و«الصبح والليل» و«مشتهر ومكتتم».

ومنه قول صفي الدين الحلي:

كان الرضا بدنوي من خواطرهم فصار سخطي لبعدي عن جوارهم

فالمقابلة بين «كان وصار» و«الرضا والسخط» و«الدنو والبعد» و«من وعن» و«خواطرهم وجوارهم» على مذهب من يرى أن المقابلة تجوز بالأضداد وغيرها. ومنه أيضًا قول أبي الطيب المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

ومقابلة «الليل بالصبح» لا تحسب إلا على المذهب القائل بجواز المقابلة بين الأضداد وغيرها. أما على المذهب القائل بقصر المقابلة على الأضداد فإن المقابلة بين «الليل والصبح» تكون غير تامة لأن ضد الليل المحض النهار لا الصبح.

٥- **ومن مقابلة ستة بستة:** قول الصاحب شرف الدين الأربلي:

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

فالمقابلة هنا بين «على وفي» و«رأس ورجل» و«عبد وحر» و«تاج وقيد» و«عز وذل» و«يزينه ويشينه».

ويرى علماء البديع أن أعلى رتب المقابلة وأبلغها هو ما كثر فيه عدد المقابلات شريطة ألا تؤدي هذه الكثرة إلى التكلف أو توحي به.

كذلك يرون أن المقابلة بالأضداد أفضل وأتم، وهذا هو مذهب السكاكي، فالمقابلة عنده: أن تجمع بين شيئين فأكثر ثم تقابل ذلك بالأضداد، وإذا شرطت في أحد الشيئين أو الأشياء شرطًا شرطت فيما يقابله ضده.

وبعد فعلنا أدركنا الآن على ضوء دراستنا لكل من المطابقة والمقابلة مدى أثرهما في

بلاغة الكلام فكل منهما يضفي على القول رونقًا وبهجة ويقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ويجلو الأفكار ويوضحها شريطة أن تجري المطابقة أو المقابلة مجرى الطبع. أما إذا تكلفها الشاعر أو الأديب فإنها تكون سببًا من أسباب اضطراب الأسلوب وتعقيده.

ومن صفات الأدب الجيد تلاحم أجزائه وائتلاف ألفاظه حتى كأن الكلام بأسره من حسن الجوار وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد وكما يتم هذا التلاحم عن طريق التشابه يتم كذلك عن طريق التضاد لأن المعاني يستدعي بعضها بعضًا فمنها ما يستدعي شبيهه، ومنها ما يستدعي مقابله، بل إن الضد أكثر خطورة على البال من التشبيه وأوضح في الدلالة على المعنى منه.

وعلى هذا كلما ظهرت المطابقة أو المقابلة في الكلام بدعوة من المعنى لا تطفلاً عليه، كانت أنجح في أداء دورها المنوط بها في تحسين المعنى.

المبالغة

إذا نظرنا إلى المبالغة من الناحية التاريخية فإننا نجد أن عبد الله بن المعتز هو أول من تحدث عنها، فقد عدّها في كتابه «البديع» من محاسن الكلام والشعر، وعرّفها بأنها «الإفراط في الصفة»، ومثّل لها.

ويفهم من الأمثلة التي أوردها أن الإفراط في الصفة يأتي عنده على ضربين: ضرب فيه ملاحة وقبول، وآخر فيه إسراف وخروج بالصفة عن حد الإنسان، فمن النوع الأول عنده قول إبراهيم بن العباس الصولي:

يا أخًا لم أر في الناس خلًا ... مثله أسرع هجرًا ووصلا
كنت لي في صدر يومي صديقًا ... فعلى عهدك أمسيتَ أم لا؟

ومن النوع الآخر المسرف قول الخثعميّ:

يُدلي يديه إلى القليب فيستقي ... في سرجه بدل الرّشاء المكرب

وقول آخر يهجو رجلًا:

تبكي السماوات إذا ما دعا ... وتستعيذ الأرض من سجدته
إذا اشتهى يومًا لحوم القطا ... صرّعها في الجو من نكهته [1]

(١) كتاب البديع لابن المعتز ص ٥٨ -٦٦ والنكهة: ريح الفم.